داود باشا

ونهاية المماليك في العراق

الدكتور يوسف عز الدين

استاذ الأدب الحديث

كلية الآداب جامعة بغداد

منشورات دار البصري

١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م

الى الصديقين علي البصري و مهدي القزاز

كلمة وفاء قيلت عندما سكت عنها الاصدقاء

كلمة الناشر

عرفت الدكتور يوسف عز الدين قبل خمس عشرة سنة . وما ان تعارفنا حتى تآلفنا واخذت صداقتنا تتوثق بمرور الأيام وتتوطد مع السنين .

ورأيت فيه عصامية وثابة جارفة تدفعه الى الأستزادة من العلوم والمعارف والآداب حتى نال الدكتوراه وعاد الى العراق وبدأ نجمه في التألق والسطوع وكلما ترقى في مدارج العمل والعلم ازداد دمقراطية وتواضعاً في السلوك ورقة الشمائل ورفعة في الخلق .

وقد احببته لصراحته ولوضوحه ولسجاياه الحميدة . واعتقد جازماً ان ليس هناك من يجالسه مرة واحدة الا ويتعلق به اعجاباً ، ويصبح من مريديه واصدقائه حباً وتقديراً .

وقبل مدة رأيت له بحثاً طريفاً نشر في مجلتي (كلية الآداب) و (الاستاذ) عن فترة من تاريخ العراق المجهول لدى الكثير من الناس ، يدور حول الوالي المشهور داود باشا وحكم المماليك . وقد

لعب داود دوراً هاماً فى التاريخ العثماني وعلى صعيد العراق وأراد
أن يقلد محمد علي باشا في أنشاء دولة كبيرة لو اقيمت لكان لتاريخ
العراق شأن آخر هذا اليوم ولما كان البحث له من الطرافة العلمية
والقيمة التاريخية الكبيرة ، رجوت الدكتور يوسف عزالدين ان
يسمح لي بنشره باقة واحدة واخراجه للناس كي يتمكن طلاب
البحوث التاريخية والأدبية من اقتنائه والاستفادة منه .

وقـــد سمح لي الاخ الدكتور يوسف مشكوراً بتنفيذ
ما اقدمت عليه دون ان يطالبني بشيء جزاء على اتعابه شأن بعض
الكتاب الذين لايخطون خطأ او يكتبون كلمة بدون مقابل .

ويسعدني ان اضع هذا البحث بين ايدي القراء مساهمة مني في
اداء الواجب في بعث التراث التاريخي في العراق خـدمة للفكر
العربي والله من وراء القصد .

الناشر

على البصرى

ادارة ولاية بغداد

فى القرن التاسع عشر

١ — الوالى

كان العراق جزءاً من الأمبراطورية العثمانيـــة المترامية الاطراف والتي كانت قد قسمت الى عدة ولايات يحكم كلا منها والٍ يعين من الاستانة بفرمان يصدره السلطان .

وقد كان أكثرية الولاة مطلقي التصـرف بادارة شؤون الولايات فالوالي هو الرأس الأعلى للولاية يديرها حسب رأيه ، ويهيمن على كل قضاياها وله صلاحيات داخل حدود الولاية تكاد لاتحد فهو يأمر بالسجن والموت ويسوق الجيوش لأخماد الثائرين . فاذا كان الوالي صالحاً — وما أقل الصالح — صلحت البلاد وان وان كان فاسداً — وهو الأكثر — انتشر الفساد والفوضى والأضطراب . ولم يكن الوالي يستشير الأستانة إلا في أخطر الامور .

وقد تمتد ولاية العراق — أو بغداد — من البصرة حتى الجزيرة وقد تصغر فتشمل بغداد وحدها .

وقد كان تفسخ ولاية العراق جزءاً من تفسخ عام شمل الامبراطورية العثمانية حتى غدت الولايات تباع كما تباع وظائف الدولة الاخرى . كان بعض المشايخ يتوسطون في أتمام شراء أي منصب حكومي وتعتبر المتاجرة بالمناصب الحكومية تجارة رابحة فقد حدثنا الآلوسي عما شاهده من المشايخ عندما كان في استانبول بقوله : ولقد رأيت معظم مشائخ اسلامبول يبيعون المنصب للمعزول ، يأتون اليه فيقولون : هل لك أن تعطينا كذا مقداراً من ذهبك ، فنعيدك بالهمة القلبية الى ما كنت فيه من ذاهب منصبك (١) .

ومن الطبيعي ان تعرض ولاية بغداد في سوق المتاجرة فقد جاء في غرائب الاغتراب (واتفق ان كتب بعض الاشهاد على بيع بعض المشائخ لبعض الناس وزارة بغداد ...) (٢) فاذا اشترى الوالي منصباً فلابد أن يعيد امواله التي اشترى بها هذه الولاية

(١) غرائب الاغتراب ص١٨٨ ومراجعة خلاصة تاريخ العراق للكرملي ٢٠٦

(٢) غرائب الاغتراب ص ١٨٩ .

فلا يجد لنفسه متسعاً من الوقت سوى جمع الاموال بكل الطرق الممكنة مشروعة — وما أقلها — وغير مشروعة . ثم يجب أن يكون من أصحاب الغنى لكي يحتاط للمستقبل اذا ما عزل من الولاية ليشتري منصباً آخر يدر عليه الربح ويمنحه عز السلطان وجاه الحكم والسطوة .

فهو يستوفى الضرائب ويغتصب الاموال من القبائل والمدن على حد سواء بل ان أحد الولاة الاتراك أخذ يتباهى بان ميزانية ولايته ليس فيها صفحة للمصروفات لانها - أي الميزانية - كانت تقتصر على الواردات فقط (١) .

وكان على الوالي ان يحافظ على منصبه مادام فيه بان يجدد الهدايا على صورة من الصور ، للصدر الأعظم المنتظر للهدايا من الولاة . وأكثرية الولاة يقدمون الهدايا عن طيب خاطر تجنباً من وساطة الوسطاء عندما يعزل فقد (ارسل والي بغداد الى الوزير الاعظم يوسف باشا هدية سنية نحو خمسمائة كيس نقود

Iraq A Study In Political Development .by P.W. (١) Ireland, London 1937, P . 79

اقرأ الحاشية
ولاحظ من اول ص ٧٩

وجواهر وأمتعة (١).

ومن الطبيعي أن يساوم الوالي بدوره على المناصب التابعة لولايته لكي يستغل الآخرين كما استغل وليستعيض عن هداياه وهباته وهكذا. وعلى أبناء العراق يقع الغرم دائماً فقد حدثنا ياسين العمري عن مطالب والي بغداد عندما قتل والي الموصل احمد باشا وقد تسلم البلدة الامير اسعد فيما اذا لم تسلم ولاية الموصل له فكان طلبه أن يعطى اربعمائة كيس من النقود وقد رضي أسعد بك بذلك وارسل اليه مائتي (٢) كيس ولما كان أسعد بك لا يملك هذا المبلغ جمعه من تجار البلد ثم تعهد له بمثلها اذا ولي الموصل فما كان من الوالي الا أن تعهد له بذلك (٣).

ولما كانت عملية البيع والشراء قد اخضعت لسوقها اكثر المناصب المهمة في الدولة فليس غريباً ان تتفشى الرشوة إذ ليس من المعقول أن يعيش الموظفون فى طهارة الملائكة وعفة الانبياء

---

(١) غاية المرام حوادث ١٨٠٠م [١٢١٤ هـ] وغرائب الأثر ص ٥١ .

(٢) كان كيس الفضة فى أحسن أوقاته يساوي خمسمائة قرش ، وكيس الذهب عشرة آلاف قرش وكان محتواها يختلف باختلاف الزمان وزاد البحاثة يعقوب سركيس فقال يحوي الكيس ٥٠٠ وحدة من النقود الدارجة وهنا هذه النقود هي من القروش القديمة .

(٣) غرائب الأثر ص ٩٤ .

وهاهم اولاء يرون أسيادهم يرتعون في بحبوحة من المال الوفير ويغرقون حتى الاذقان في ابتزاز الاموال واغتصاب الناس ممتلكاتهم ويرونهم يبيعون المناصب ويشترونها. فليس امامهم الا عرقلة مصالح المساكين من الناس الذين يحتاجون الدولة في أمر من أمورهم. فيضعون أمامهم مختلف الصعوبات ومتنوع العراقيل لكي يظفروا ببعض المال الذي ينفحهم به المراجعون فقد شكا الآلوسي مر الشكوى من الموظفين بقوله (١) ... ومعظم كتاب المالية، والاوقاف، ليس في روى قلوبهم قطرة من مداد الانصاف، كم طوى أحدهم قرطاس كشحه عن ذي الحاجة وأهمله، وخيرهم من اذا عد الملهوف دراهماً (كذا) نظر في شأنه وعدله، وصحائف أعمالهم والله تعالى أعلم من قلوبهم سواد، وكأنك بسواد وجوههم يوم نشر الصحف غدا لسواد وجوههم المظلمة مداد ...).

فلا عجب ان غدت الوظيفة تجارة وطريقاً للرزق إذ كانت سبيلاً للعيش الرغيد والاثراء. وكانت الوظائف تعطى بالنسبة للقيمة الفردية للشخص ومقدار مايحتاجه فاذا لم تكفه كان يستبدل

(١) غرائب الاغتراب ص ١٩٩.

بها غيرها لكي تسد نفقاته كأحدى الضياع فقد قال عثمان بن سند متحدثاً عن حسن باشا والي بغداد السابق فقد جاء يشكو والي بغداد — قادماً من ديار بكر — سوء حالته الاقتصادية فما كان من والي بغداد الا أن أعطاه بلدة البندنيج (١) يستغلها غير أنه أخبر الوزير أنها لاتكفي لمصاريفه فولاه متسلمية (٢) كركوك (٣).

وقد يعزل الوالي والياً لا يرتاح اليه متى دفع مبلغاً من المال للاستانة ففي عام ١٢١٠ هـ ارسل والي بغداد الوزير سليمان الى الدولة هدية قيمتها ثمانماية كيس نقود وجواهر وأمثال ذلك ، وطلب عزل والي اورفه . . . (٤) فلبت الجهات المختصة الطلب وتناست خدمات والي اورفه لها لكي ترضي والي بغداد الذي قدم لها المال . ولم تكتف بذلك أنما امعنت فى اذلال هـذا الوالي — لانه لم يتمكن أن يفتدى نفسه — فرفعت عنه الرتبة ثم سجنته فى قلعة ساقز (١) .

---

(١) مدينة مندلي اليوم .

(٢) المتسلم هو نائب الوالي أو نائب الباشا بصفة الفاعل أو الوكيل وأسم الوظيفة متسلمية .

(٣) مختصر مطالع السعود ص ٣٣ و ٣٤ .

(٤) غرائب الاثر ص ٣٨ .

(٥) المصدر السابق . ساقز : قال عنها يعقوب سركيس انها جزيرة في البحر الابيض المتوسط اتخذت مراراً مركزاً لولاية جزائر بحر سفيد ولعلها سركيوس عاصمة صقلية .

لا أدري كيف يأمن الموظف على وظيفته وهـا هي الدولة تسجن والياً من ولاتها ، بل كيف يأمن على نفسه ، وعلى منزلته ، والدولة نفسها ترسل من يفاوض الولاة للحصول على مزيد من المال أو كان العزل نصيبه فقد حدثنا الخطيب الشهرباني ذاكراً وصول مندوب الاستانة حالت افندي (١) الى بغداد وكان مرخصاً بالتغيير والتبديل فارسل يطلب كاتب الديوان لكي يحادث الوالي الوزير سليمان القتيل وأراده ... [ان يخدم الدولة العلية بمقدار كم الف كيس ..] وأخبره أن يتوسط فى اعادته الى الوزارة ويشفع هذا بتهديد على شكل نصح بتلبية الامر (٢) .

فمن أين يأتي الوالي الوزير بالمال ؟ ! !

لابد انه سيتجه نحو الرعية يمتص آخر قطرة من دمائها ، متخذاً كل اسلوب ممكن . فأذا ثارت عشيرة من العشائر لظلم لحق بها أو اهانة اصابتها اتخذ الوالي عملها فرصة وساق جيشه ولا يعود الا بعد فرض اتاوة جديدة يجب أن تؤديها تلك العشيرة . . فقد

---

(١) لاحظ ما كتبه يعقوب سركيس في مباحث عراقية ج ٢ ص ٣٩٥ وتذكرة الشعراء ص ٣٥ .

(٢) غاية المرام ص ٢٤٦ .

جاء فى غاية المرام فى أثناء الحديث عن عشيرة البلباص (١) الثائرة ان افراد العشيرة لما سمعوا بقـــدوم الوالي (خافوا وبذلوا الطاعة فأخذ منهم مصالحة ثمانية الف رأس غنم وأحد عشر الفاً من البقر وعفا عنهم)(٢).

أما العشائر التي لايستطيع الاستيلاء عليها ، يقهرها حربياً عند هروبها الى الجبال ، فلا يجد امامه الا تخريب بيوتها وقطع أشجارها(٣) وعندما يتصالح الوالي مع القبائل فهو يتصالح معها على مبالغ معينة من المال فان لم تتمكن من دفع المال المطلوب فما عليها الا أن تدفع من أغنامها فدية فقد صولح الخزاعل على ٥٠٠ (٤) طغار من الشلب ومائتي كيس من المال (٥).

ان السيطرة المطلقـة والنفوذ الواسع على امور الولاية وبعد الولاية عن مركز الدولة وتأخر وسائل المواصلات يضاف اليه الفساد الذي أخـذ يدب في جسم الدولة العثمانية الواهن — والتي

(١) عشيرة البلباص احدى العشائر الكردية .
(٢) غاية المرام ص ٢٤٦ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) الطغار مايعادل مئة وزنة والوزنة مئة كيلو .
(٥) غاية المرام ص ٢١٧ .

كانت الدول آنذاك تحاول تقويمه بالمعاهدات ، امور شجعت الولاة على التفكير الجدي بالاستقلال عن الدولة ولعل صلاحيتهم فى تشكيل الجيش كانت عاملا مهماً فى الانتفاض . كما انتفض سليمان القتيل سنة ١٨١٠ ودواد باشا سنه ١٨٣٠ (١) .

وقد كان السلطان فى شاغل عن امور الولاية حتى أن العجم استولوا على البصرة ولم يعرف بنبأ هذا الاستيلاء الا بعد مضي اربع سنين (٢) واذا ما أراد السلطان أن يرسل جيشاً لقمع بعض هذه الثورات فقد كان القواد ينصرفون الى امورهم الخاصة في الخمر واللهو والغلمان والحسان (٣) فقد ارسل السلطان ثلاث باشوات من القادة الذين يعتمد عليهم لكي يجلوا الفرس عن البصرة فلما وصلوا بغداد وكانوا عبدالله باشا وعبدي باشا ومصطفى باشا (اشاعوا ان السلطان اصطلح مع ملك العجم كريم خان وانه عن قريب تنفك المحاصرة عن البصرة (٤) وزاد الطين بلة انهم

(١) نيل المراد ص ٢٨ مطالع السعود وجريدة العرب ج ٣ السنة الاولى .
(٢) مطالع السعود ص ١٢٩ .
(٣) غاية المرام ، ومطالع السعود .
(٤) مختصر مطالع السعود ٩ .

زوروا فرماناً عن السلطان يتضمن هـذا الصلح (١) وعزل والي البصرة . وبذلك فتوا فى عضد المدافعين عن البصرة والمحاصرين من قبل العجم فأمنوا جانبهم فما كان من الفرس الذين لم يكونوا يعرفون مثل هـذا الامر الا أن اوقعوا فيهم السلب والنهب والذبح (٢) .

فلما سمع والي البصرة بعزله خرج من البصرة وخيم فى الجانب الغربي لكي يسافر الى استانبول ولكن لما سمع مصطفى باشا بذلك خشى مغبة الامر فارسل رجاله وزودهم بفرمان آخر مزور يأمر فيه بقطع رأس الوالي « لانه أهمل شأن البصرة » (٣) .

٢ مساعدو الوالى

كان للوالي مساعدون يساعدونه فى مهمته فى مختلف الأعمال الادارية وضبط أمور الولاية وأول هؤلاء الموظفين أهمية هو :

---

(١) مطالع السعود ص ١٢٨ .

(٢) كتب المرحوم الباحث يعقوب سركيس حول بعض المعارك فى جريدة الأخبار العدد ٤ الصادر في كانون الثاني ١٩٥٥ .

(٣) مختصر مطالع السعود ص ١٠ ولكولمن ص ١٢ .

الكتخدا (١) : وهو مساعـد الوالي ومعاونه ونائبه ويقوم بمساعدته فى جميع القضايا الادارية والعسكرية والمالية ، فاذا ثارت قبيلة من القبائل قام الكتخـدا بقيادة الجيش فهو ناظر النظار (٢) وغالباً ما يأتي مع الوالي ويعزل بعزله وقد يطلق عليه الوالي الثاني وكانت له دار خاصة به وله مراسيم فى التشريفات حين يستقبل الناس كالوالي (٣).

الدفتردار : وهي وظيفة مالية لاكبر رئيس فى الولاية فتجمع بسلطته الأموال والضرائب المباشرة وغير المباشرة (٤) التي يفرضها الوالي وينبغي أن يكون الدفتردار متضلعاً في الامور المالية واسع الاطلاع والمعرفة بقوانينها وأن يكون ذا ثقافة عامة (٥) واكثر الذين يشغلون هذا المنصب الخطير من متخرجي المالية إذ يترقون

---

(١) وقد يسمى الكهيا أو الكهية تخفيف الكلمة الفارسية كتخذا ويراد بها كبير القرية أو الشريف أو القهرمان ورئيس عملة الصنف أو رئيس الصناعة وهو ماكان يسمى في صدر الأسلام والعباسيين الدهقان وجمعها الدهاقين .

(٢) الترياق الفاروقي ص ٥٠ ولاحظ تذكرة السفراء ص ٩٧ .

(٣) المماليك في العراق ص ١٠٧ .

(٤) ايرلند ص ١٣٣ والعراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٦٢ .

(٥) العراق بين احتلالين ص ٢٦٢ وتذكرة السفراء ص ٩١ .

فى مناصبهم حتى يصلوا الى هـذه المنزلة المالية الكبيرة فى الولاية ولاتزال القدرة المالية والثقافية العامة والدراية الواسعة من مستلزمات وزير المالية فى أية دولة حتى الآن (١).

القاضي : وهـو ما نسميه فى العراق الحاكم ولاتزال تستعمل هذه الكلمة في بعض الاقطار العربية وكان يتبع الشرع الحنيف فى قضاياه التي تعرض عليه لذلك نجد قاضياً تركياً يرسل الى بغداد أو أن يرسل قاض من بغـــــداد الى سوريا ، والفقه الاسلامي وفتاوى المجتهدين السابقين كانت تؤثر في حكم القاضي ، وقد كانت الدولة تختار لقضاء بغداد قضاة متميزين في العلوم معروفين في الفقه والعلوم الأسلامية فيعدون من الصنف الأرقى) (٢) ذلك لأن بغداد كانت تزخر بالعلماء الكبار الذين وقفوا حياتهم للدين الأسلامي والأفتاء لذلك يجب أن ترسل قضاة ممتازين توقياً من

---

(١) الدفتردار : كلمة فارسية تركية مركبة من كلمة (دفتر) المستعملة في العراق بمعنى كتاب و (دار) أي صاحب أوحامل ويراد به كاتب الحسابات وهم على ثلاث درجات الدفتر دار الاكبر أو الاول وهو وزير المالية والدفتر دار الثاني وهو الاوسط وكان يراقب اسلوب الضريبة بموجب النظام الجديد الذي أسسه السلطان سليمان الثالث والدفتر دار الأصغر أو الثالث وكان يتولى احكام دار السلطنة (الاستانة) .

(٢) العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٦٩ .

مقدرة العلماء . ورغم ما كانت عليه مكانة القاضي فان الدولة لم تكن تفكر فى أن تجعل له راتباً خاصاً به من الخزينة ، انما كانت رواتبهم من حسنات المسلمين حتى جاء سليمان القتيل فأخذ ينفق من بيت المال عليهم إذ رتب لهم رواتب معلومة يتقاضونها من الخزانة (١) ومع أن رواتبهم لم تكن تبلغ ما يساوي خمساً وثلاثين ليرة في الشهر كانت تستلم بدون نظام شأن موظفي الدولة الآخرين فانهم كانوا يثرون اثراء فاحشاً يرتفعون من قعر الفقر الى قمة الثراء (٢) إذ لا يمكن استثناء القضاة من الداء المتفشي ورغبتهم فى جمع اكبر كمية ممكنة من المال لكي يحافظوا على وظائفهم بالثراء والارتشاء لكي يحتفظوا بمناصبهم .

الخزندار (٣) : وهو مدير الخزينة العام لولاية بغداد واليه توكل امور ايداع الدراهم وقد تتعدى واجبات وظيفته الى حفظ أموال الأغنياء والحلى الثمينة والاموال الفاخرة (٤) فهو بمثابة البنك

---

(١) لغة العرب العدد ٣/٩٩ سنة ١٩١٦ ومطالع السعود ص ١٩٥ .

(٢) آيرلند ص ٧٩ .

(٣) متكونة من كلمتين خزنه ـ معناها ـ الصندوق أو الخزانة و [دار] صاحب .

(٤) تذكرة الشعراء ص ٩٠ .

الذي تودع لديه الأمانات .

المصرف : وهو الموظف الذي يتولى صرف الايرادات التي ترد الدولة كما أنه يسجل الواردات فهو رئيس حسابات الولاية(١) فهو موظف مقام على النفقات والمقبوضات .

٣ ـ الموظفون الآخرون

وقد كان لهؤلاء الرؤساء وحدات يديرها كتاب يتولون تصريف شؤونها ولهم ديوان وقد جمع الخطاطين البارعين والمنشئين الماهرين وأرباب المواهب الممتازة (٢) والديوان التي كان يشرف على ادارتهم وقد كان يسمى الرئيس (المكتوبي)(٣)أو المكتوبجي على صيغة اسم المفعول . ومن شروطهم التفوق فى التحرير والكفاءة العلمية والادبية بما يناسب عمله وقد كان الديوان يحتوي على كاتب للفارسية وآخر للعربية . ومن المفروض أن يجيد

---

(١) المصدر السابق ص ٩٨ اسم الوظيفة مصرفية ومحل الصرف المصرفخانة .

(٢) العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٥٩ وما بعدها .

(٣) هو الكاتب في اللغة التركية ولا سيما في المناصب الكبيرة من الدولة وهو المنشيء ايضاً والمحرر ورئيس ديوان ادارة الكتاب واسم المنصب المكتوبجي أو المكتوبية فاتخذ اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل .

الكتاب جميعاً اللغة التركية . ويسمى هذا الديوان ديوان أفنديسي (١) .

الحسبة

ولابد لنا أن نعرج على مؤسسة اخرى في الولاية وهي الحسبة ونظام الحسبة ليس حديثاً بالنسبة للدين الاسلامي فقد كان في الدولة الاسلامية الاولى من عهد عمر بن الخطاب وقد ذكر النظام ابن خلدون في مقدمته فقال عنه انه (وظيفة من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا له فيتعين فرضه عليه ، ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث في المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة فى المدينة ، مثل المنع من المضايقات فى الطرقات ومنع الحمالين ، وأهل السفن ، من الاكثار في الحمل ، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وأزالتها وما يتوقع من ضررها على السابلة . . . وما يتعلق بالغش والتدليس

---

(١) الافندي كلمة تركية من أصل يوناني تطلق على السيد أو الأديب أو الفاضل وديوان أفنديسي كاتب الديوان .

في المعايش وغيرها وفى المكاييل والموازين (١) فهي مصلحة قريبة من أمانة العاصمة أو البلدية ووصفها الفـــرادي بأنها « مصلحة ادارية لتنظيم أعمال المدينة ومراقبة هذه الاعمال لتجري بوجه الصحة وان تلاحظ ما يقع من غش المعاملات أو ما يضر بالصحة وسائر ما من شأنه أن يراقب مثل البيوعات وسائر الامور المدنية » (٢).

الجيش والدرك

ولابد من وجود قوة لكي توطد دعائم هذا الحكم في العراق ولحراسته وقد كانت هناك قوتان الجاندرمه والجيش وقد كانت الجاندرمه تقوم بأمور تتعلق بالامن الداخلي الهينة فهي تقوم مقام قوات الشرطة (البوليس).

أما الجيش فقد كان القوة الكبيرة المعدة للطوارىء وما اكثر هذه الطوارىء التي كانت تعصف بالعراق فيتخـــذه الوالي أداة

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٥ دار الكشاف بيروت .

(٢) العراق بين احتلالين .

لتوطيد الامن والدفاع عن كيانه وكيان ولايته إذا ما هوجمت من مهاجم اجنبي ولم يكن هناك مايخشى منه سوى ايران .

والحقيقة ان الجيش كان اداة لتأديب "مراقبين ولضرب ثورات القبائل فقد كانت تضرب بعض المدن متى عصيت الوالي في امر من الامور وتؤدب القبائل التي تحدثها نفسها بالتمرد على السلطة الحاكمة . وإذا ما عجز وال من الولاة في بغداد أو البصرة أو الموصل فقد كان يستنجد بالولاة الآخرين .

وقد كانت في العراق من (اليكنجرية) (١) ولكن داود باشا كان قد حول هذا النظام بطلب من الدولة سنة ١٢٤١ هـ الى جيش نظامي جديد .

ومن الاصلاحات التي ادخلت على الجيش اصلاحات داود باشا فقد استجلبت له من اوربا ومن سائر الاقطار بعض الصناعات والصناع وأمر بصنع المدافع والبنادق على الطراز

(١) اليكنجرية : تقرأ ينجرية ومعناها الفرقة الجديدة : يكى جديد ، جرى : فرقة ألف هذا الجيش السلطان ادرخان ثاني سلاطين العثمانيين وألف في زمن محمود الثاني .

الجديد (١) غير أن الظروف لم تكن مواتية لداود باشا لكي يستقل بالبلاد وشاءت الطبيعة ان تقضي على مشاريعه فقضى على المشروع. وللجيش أقسام متعددة متنوعة لاتهمنا في البحث وقد تطرق اليها الأستاذ العزاوي (٢).

(١) Four Centuries of Modern Iraq, S. H. Longrigg - Oxford, 1952 P. 260-261

(٢) العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٧٨.

« داود باشا »

ونهاية دولة المماليك فى العراق

١٨١٧ - ١٨٣١
١٢٣٢ ١٢٤٦

طالت غيبة الطفل المترف المدلل عن اهله « وطال هلع امه ونحيبها ولكن اين داود ؟ الكرجي الجميل ...... الصبوح المشرق وهو الذي لم يتجاوز من العمر الثانية عشرة ؟! كان بين يدي سارقيه يحاول التخلص بكل ما اوتي من قوة الطفولة وعرامها ..... يدفعه الهلع ..... ويحرقه الحنين الى اهله واسرته والخوف من المجهول ... فهو لا يعرف ما يريدونه من سرقتهم له ، والى اين سيقر قراره . (١)

ولو ان عالم الغيب انكشف له فى تلك الساعة وعلم انه سيكون والياً على العراق بأجمعه ..... لظن ذلك اوهاماً ... واعتقد انها خدعة يريدها له السارقون .

---

(١) تذكرة الشعراء ص ٥ ، ٢٢ ولونكريك ص ٢٣٩ .

اوصلوه الى بغـداد اسيراً (١) .. وكانت بغداد بحاجة الى المماليك لكي تربيهم وتدربهم « وتثقفهم وتنتفع بهم » وكان الولاة حريصين على تكوينهم لانهم سيكونون ألصق بهم وسيكون مستقبل الواحـد منهم مرتبطاً بمستقبلهم لذلك سيخلصون لهم ويتفانون في خدمتهم ورضائهم .

بيع داود في اسواق العراق وانتقل من يد الى اخرى وقابل مختلف الناس والعناصر وفيهم الرفيق اللطيف والخشن الفظ حتى وصل به المطاف الى سليمان باشا الكبير (٢) فاذا بهذا الطفل المسيحي يعيش في بيئة اسلامية «ويرى الجموع تصوم وتصلي وتؤدي الفرائض» فابتعد عن الكنيسة وعن اجراسها ولم يبعث في نفسه اصواتها الا ظلالا من الذكريات تعنف احياناً ولكنها اخذت تهفت وتتضاءل إذ لم يذهب اليها ليؤدي القداس ولم يقم بشعائر الصلاة فيها واستبدل بها ، الجامع وصوت المؤذن الذي ينادي الله أكبر ... وان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ... فمنذ ذلك اطمأن قلبه الى الأسلام .

---

(١) خلاصة تاريخ العراق - للكرملي ص ٢٠٦ .

(٢) لونكريك تذكرة الشعراء ومطالع السعود ومختصره .

عـرف داود الحياة وتمرس بآفاتها صغيراً « وتعلم ما لم يتعلمه امثاله من الشباب وقـد اخذ سيد البلاد يعني به العناية الطيبة ويوجهه التوجيه الكريم » ولا يدخـر وسعاً في تعليمه وتثقيفه. وكانت مرارة البيع والشراء « والتقلب بين ايدي الناس تزيد في حماسة هـذا الفتى الذكي يؤازرها حماسة الشباب والغربة وذلة الاسر (١) فهو رقيق ملك سيده وهو عبد أقل مستوى من الأحرار فيجب ان يرفع من قيمته في هـذا المجتمع الذي انزله الى هذه الدركات وليبرهن لهم انه اعلى منزلة من غيره من المماليك كان امامه سبيل العلم واضحاً موطـداً ومهيع الادب والفضل لاحباً، فلم لا يتزود منه ولا يرتوي من هذا النمير العذب الزلال ؟! فانكب داود بهمة ونشاط على دروسه فدرس اللغة العربية والفقه والاصولين (الفقه والدين) كما اجاد القرآن الكريم اجادة تامة وحفظ من آياته البينات ثم ألم بالتصوف ودرس البيان والبديع وعلم التفسير وكل العلوم التي كانت تدرس آنذاك للطلاب (٢).

---

(١) خلاصة تأريخ العراق ص ٢٠٦ وتذكرة الشعراء.

(٢) مطالع السعود ومختصره ولغة العرب ١٢-٢.

فكان الطالب المبرز واصبح العلم الذي يشار اليه بالبنان . ثم اجاد اللغتين الفارسية والتركية فقد كان اديباً باللغات الثلاث . كان داود متدرج في مراقي العلم بين اخوانه يدربه مدرب خصصه له سيده على استعمال السيف « فكان الفارس البطل » .

كل هذا وسيده يرقبه عن كثب ويعجب به اشد الأعجاب فازدادت ثقة سليمان باشا الكبير به « وحرصه على راحته » هذه الثقة جعلت من داود اميناً لمفاتيح الوالي « ثم حاملا لأختامه » .

وكانت العيون ترمقه شزراً « وتنفث قلوب الحاقدين كمدا وحزناً لما اصابه هــــذا المملوك من العطف السامي الذي حباه به سليمان . والذي كان يكافىء النبوغ والعبقرية فزاد في النفوس غيظها وكمدها » .

ثم اصبح الناس حيارى من هول ما سمعوا : « سليمان باشا يزوج ابنته لداود ، السيد الجبار حاكم بغداد يزوج ابنته لعبد من عبيده ولكنهم لو فتشوا في دخائل سليمان لوجــدوه يعيد امامه تأريخ حياته ، الم يكن مثله رقيقاً يباع ويشترى « فلماذا لا يسبغ على داود عطفه ولماذا لم يذقه من الحنان والعطف والرضا » بعد ان

نسى الحنان بين اسرته . . . واخوانه واصحابه فما عاد يذكر للحنان واللطف الا الذكريات » .

ومابال القوم يهذرون الم يأمر الدين الأسلامي الكريم بمعاملة الأرقاء معاملة حسنة ويأمر بالتحدث اليهم بالحديث اللطيف ليجبر تلك النفوس الكسيرة فكم من مرة امر الرسول العظيم وحث على مواساتهم والحدب عليهم واستنزل اللعنات على من يضرب عبده ؟! .

ثم ألم يكن سليمان (آغا) متزوجاً بابنة سيده أحمد باشا ثم غدا بعدها (باشا) وهو اول من رسخ عهد المماليك في العراق عام ١٧٥٠ م فلماذا يتقول الناس ؟ لاشك انهم قد نسوا ذلك الحديث لبعد الأيام وتوالي السنين . اخذ داود باشا يعتلي المناصب حتى صار (دفتر دارا) وكان هذا المنصب لا يعهد الا لذوي الكفاية والدراية والعقل الكبير من الناس . لأن الدولة كانت تعيش للمال وتحيابه ، وليس سوى المال من حياة ، هذا في زمن عبدالله التوتونجي . وعندما تسلم سعيد بن سليمان باشا الحكم رفعه الى درجة (الكتخدا) وقد كان داود يرفع من سمته يوماً بعد يوم . فلم يزل كغيره الى

قبول الهـدايا والرشاوى وهو في غنى عنها يصده العلم والأدب والتجارب القاسية المرة . ثم فكر فيمن يسانده ويعتمد عليه في المستقبل لذا عامل الجيش معاملة حسنة فكسبه ثم ان داود كان دائم الابتسام بشوشاً في سلوكه غير متصنع فى معاملاته كما كانت ظرافته تستعبد اشد مناوئيه وتجذبهم اليه (١) كل ذلك لكي يمد نفسه لليوم الكبير ويهيىء الجو لكي يتسنم عرش بغـداد ويهز صولجانها بيده وقد كان يجتمع فى ناديه الناس . وكان هذا النادي ملتقى الطبقات المثقفة والبارزة وكانت تخرج منه فتكيل الحمد له والثناء على اخلاقه وكرمه . مشيدة بفضله . هـذه النفس التي اسرت قلوب الناس . واستولت على نفس سعيد صهره وابن سيده فقد كان يحمل لداود ذكريات الطفولة وكان يرى والده برا به ، عطوفاً في معاملته ، وكان الطفل سعيد يهرع الى داود يسأله عن دروسه فكان يبذل قصارى جهده فى توجيهه فيزداد اعجاباً بالعلم الوفير والوقار والهيبة التي يلمسها فى داود .

ولما تبوأ سعيد باشا اريكة الحكم عين داود كتخداه ، واطلق

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٢١ .

يده في شؤون الدولة . لكن الشقاق العائلي وسوء التفاهم كثيراً ما يدب بين النساء « فأخذت ام سعيد تهاجم داود بعنف » حتى انها قالت لسعيد باشا (ان هذا واشباهه اعدائي منذ عهد عهيد) (١) وقد حاول سعيد استرضاءها بطرق متنوعة تارة بالتذلل وآونة بالخضوع ثم اخذ يضرب على الوتر الحساس الذي تحسه المرأة وقال لها (انه صهرنا المكرم الذي قدمه ابي واختاره الى مصاهرته) (٢) ولكن ضعف الرأي وسيطرة المرأة تغلبا على سعيد باشا رغم حاجاته الماسة اليه ورغم ان عزله سوف يؤدي الى رد فعل كبير بين الناس ويعزف القلوب عن مؤازرته .

نحن لانلوم سعيداً على عمله فقد كان تحت رعاية أمه حتى ذلك العمر ، إذ لم يكن يتجاوز الثانية والعشرين فقد بقي تأثيرها عليه حتى هذه السن كبيراً ثم لم يكن مستقلا في رأيه وعمله عنها « وقد كان ضعيفاً لذلك استسلم الى أم جاهلة ومجنونة (٣) وعزل ركناً من اركان المملكة من منصبه ثم ان سعيد باشا كان محباً للانس

(١) الكولن ص ٢٤ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) لونكريك ص ٢٣٤ .

والطرب » ومفرط العشق للنساء (١) زد على ذلك انه كان ضعيفاً لا يتقيد بالعرف وقد خضع لتأثير امه خضوعاً مهيناً. وقد اوغرت صدر سعيد باشا بعداء داود وكان حولها جماعة لا تريد النبوغ ان يبرز والسجايا العالية ان تظهر، فأوهموه ان القصد الأول لداود قتله والأستيلاء على دست الولاية. وخوفوه مغبة الأمر. خاصة ان الجيش تأثر بأمر داود وانه يحبه حبا جما ويخضع له راضيا شاكراً له كريم عنايته. ثم جسموا تلك الفكرة في رأسه واخبروه انه سوف يأمر بخنقه ليلاً وأكدوا القول في ذهنه بالتكرار المتواصل.

والحكم والنفس عزيزان على المرء لذا اخذ يفكر فيما يصنع بداود فكان مشيروه اسرع منه اجابة قائلين له (تغد به قبل ان يتعشى بك) ورتبت خطة لقتل داود (٢) فلما علم داود بذلك خرج من بغداد بحجة الصيد (٣) والقنص، ولكنه فر هاربا من بغداد لكي يعتزل في احد الجبال المحصنة وتبعه اعوانه وبعض

(١) الرافدان ص ٢٥٠.

(٢) مختصر مطالع السعود ص ١٢٤.

(٣) الكولمن ص ٢٥

المتبرمين والناقمين على سوء معاملة سعيد باشا حتى وصل كركوك فرحب به محمود باشا ترحيباً حاراً لمكانته (١) وفي كركوك كان داود يجلس الساعات الطويلة مطرقاً مفكراً معتزلا الناس إذ كان يودع ماتعلمه من جمال التعبير وقوة الأفصاح والاقناع في رسالة بعث بها الى السلطان يخبره بالمصير السيء الذي وصلت اليه حالة البلاد في العراق (٢).

لاشك في ان الرسالة كانت معقد آماله ففيها حياته ومماته. اما ان ترفعه الى الذروة أو ان تنزله الى اللحد وقد كان داود يعد عدته لهذا اليوم الرهيب منذ عشرين سنة وقد عرف عنه في الاستانة الشيء الكثير من مزاياه العالية وعلمه الوافر ، وعن مقدرته ، وعن عقله وفضله . ثم ان داود أخبر صديقه في الاستانة «حالت» أفندي بأدق الامور واعمق الاسرار وهناك بذل حالت افندي الجهد اليسير في توجيه الايالة لداود . وقد كان داود ينتظر ورود الفرمان على احر من الجمر ساهراً لا يغمض له جفن اما بغداد فبقيت بعد داودباشا بيد سعيد وامه المجنونة وجماعة آخرين لا قيمة

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٢٤ و والكولمن ٢٥ و ٢٦ .
(٢) نفس المصدر .

لهم في معايير التجارب والعقل فتفشت الفوضي بين الناس وانتشرت اللصوصية دون ان تفكر الحكومة في الضرب على ايديهم، بل ان بعض الناس كانوا يشجعون اللصوص لكي يستفيدوا من الاسلاب(١) ثم ان نفقات سعيد على ملاذه الشخصية ولياليه ومرحه اعادت للذهن عهد العباسيين (٢) وعندما كان يعوزه المال كان يستدين من عامة الشعب على ان يسدد ذلك من واردات الكمارك . وبينما كان سعيد باشا ساهراً فى لذاته ونسائه كان داود باشا ساهراً مثله ولكن في سبيل مثل اعلى ، وفى غاية ارفع هي الاستيلاء على بغداد . فقد وصلت اليه السعادة وشمله الحبور بعزل سعيد باشا وتعيينه بيلربكى (٣) لبغداد والبصرة وشهرزور . واراد داود ان يفت في عضد سعيد فأرسل صورة الفرمان الى حمود بن ثامر رئيس قبائل المنتفك لانه كان يساند سعيدا (٤) ففت فى عضد سعيد بانسحاب القبائل الموالية له . فما كان من حمود الا ان ارسل

(١) لونكريك ص ٢٣٥ .

(٢) الرافدان ص ٢٥٠ .

(٣) امير الالواء .

(٤) مختصر مطالع السعود ص ١٢٥ .

الى سعيد باشا ينصحه بعدم القتال وتسليم بغداد لصاحبها الشرعي .

وقد كان تعيين داود نازلة نزلت على سعيدباشا فأخذ يستنجد بقوات متعددة غير ان خواء الخزينة حال دون مايريد إذ لم يبق في بيت المال شيء من الدراهم لكثرة ما انفقه على ملذاته ، حتى انه لم يتمكن ان يدفع للجند رواتبهم . ثم اخذ بعض المماليك يهربون الى داود عندما اخذت الحالة تسوء يوماً بعد يوم وقد بدأت فعلاً ثورة علنية في بغداد في محلة باب الشيخ فسهل ذلك الامر لداود فدخل بغداد واخذ الناس يتوافدون عليه مرحبين به .

اما سعيد باشا فقد تحصن مع بعض القوات داخل القلعة فما كان من قوات داود الا ان تبعته وقطعت رأسه وهو بين حضن امه بباطة وابقت القوات الجثة بين يدي امه وقد ساء قتل سعيد باشا (داود) إذ لم يكن يريد ان يقضي على ابن سيده وصهره . وبذلك قضى على عهد سعيد وبقيت امه تنوح على ايامها وعلى ولدها . ولكن ليس لها مساعد ولا معين فقد انفضّ من حولها الناس .

صهرت التجارب داود وعركته المحن ، فامتحن فيها الايام فقد تولى ولاية بغداد وهو في الخمسين من عمره وكان يعرفه اهل بغداد جيداً بالمزايا الحسنة والخلال الرفيعة والعلم والفضل . وعندما تسلم زمام الامر وجد الخزينة خواء فقد انفقها سعيد باشا وحتى ذلك الوقت لم يكن الجيش قد تسلم راتبه زد على ذلك ما كانت تعانيه بغداد من الفوضى والاضطراب فقد كانت القبائل ، كما نعهدها ، يهاجم بعضها بعضاً ، وإذا لم تقاتل فهي تهاجم المدن للاستيلاء على شيء من اموالها . هذه المشكلة من المشكلات التي كانت مستعصية على الحكومة فقد كانت تهدف الى جعلهم مواطنين صالحين للدولة . ولكنها كانت تستعمل القوة والضغط دون ان تفكر في طرق ناجحة في استيطانهم بل لم تفكر فى بذل بعض مثل هذا المجهود .

ولادري كيف تخضع القبائل للدولة وهي تطالبهم بالضرائب المتوالية دون ان تقدم لهم فائدة محسوسة لقاء اخذ هذه الاتاوات وكانت الولاية كلما اعوزها المال تهاجم القبائل ومتى انتصرت عليها اجبرتها على دفع الضرائب ولم يكن داود الذي جرب هذه التجربة

في خلال بقائه في العراق بالحائد عن هذه الطريقة وهو الآن احوج الناس الى المال لذا تراه عندما تلكأت الدليم (١) عن دفع الضريبة ارسل اليها الكتخدا بعسكره وغنم منها مالا بعد ان استحر القتل بين المعسكرين وكأنها الحرب بين دولتين متعاديتين. وبالرغم من ان العشيرة عاهدت الكتخدا على الطاعة لكنه استوفى من المواشي والابل والخيل (٢) ما اراد ولم يكتف الكتخدا بذلك بل عامل عدة قبائل هذه المعاملة مثل بني زوبع وجميلة وآل عيسى حتى ادوا الضريبة المطلوبة منهم فطرب داود لهذا النصر وارسل الى قائده سيفاً مكافأة على عمله.

ولم تكن الجيوش تكتفي بالهجوم على القبائل المتأخرة عن دفع الضرائب انما كانت تهاجم القبائل الأخرى فقد هاجم الكتخدا في طريقه قبائل كانت حول بغداد في منطقة الخالص ونهب منها اربعين رأس غنم وخرب البساتين في (الخالص) و (خراسان) وان ساغ لكتخدا ان يهاجم القبائل العراقية بحجة

---

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٣٨.

(٢) مطالع السعود ص ٢٤٤.

عـدم المحافظة على الامن او انها لم تقدم الضريبة المطلوبة منها ، فما حجته في مهاجمة القبائل التي جاءت تأخذ الميرة كما صنع مع قبائل ابن هذال ؟! (١) .

ومن المؤسف انه لم يكتف بمهاجمة القبائل بل كان يهاجم المدن محتجاً بانها خرجت عن الطاعة فقد هاجم (عفك) فتحصن الناس بالقلعة ولكنهم فروا ليلا خوف المدافع حين علموا انها ستطلق عليهم نهاراً ولما عرف الكتخدا بذلك دخل المدينة ونهبها واستولى على الاموال والذخائر التي كانت فيها (٢) .

لاشك ان قصـد داود باشا كان ارهاب الناس واظهار قوته لكي يوطـد الامن ثم يملأ الخزانة الفارغة الخاوية على عـروشها بسرعة لكي يوطد حكمه وهو فى اول ايام ولايته .

مطامع داود :

كان داود يشعر بفساد حالة الدولة وهـا هو ذا يشهد استقلال الولايات لذلك كانت الآمال العـذاب تداعب ذهنه فى ان يستقل

---

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٣٧ .

(٢) المصدر السابق .

هو في بغداد ، كما استقل محمد علي باشا في مصر . فأعد العدة لهذا الاستقلال وكانت اولى هذه الدعائم هو الجيش ليكون درعه عند الملمات وساعة الشدائد ويجب ان يكون مدرباً تدريباً عسكرياً حديثاً فعهد الى المسيو ديفو الفرنسي (١) الذي كان من ضباط نابليون في تدريبه بل ان ابن المقيم البريطاني الميجور تايلور كان بعهدته كتيبة من الخيالة ، وقد ارسل داود باشا الى الهند يطلب بعض المعدات لهذا الجيش ولكنها رفضت طلبه ، ثم طلب المساعدة بمقياس اكبر لتجهيز الجيش الذي اعده فقد اراد ضباطا ومدرسين وصناعا وثلاث سفن مسلحة كبيرة وكميات كبيرة من الذخائر الحربية . . . ولاشك في ان الهند كانت تعتقد ان هذه الاسلحة سوف تستعمل في اغراض العصيان وهي حريصة على علاقتها بالدولة العثمانية ولكن نظام الجيش قد ثبت إذ استدعى (داود) صناعا من اوربا واحدث مصانع الجوخ والبن والبواريد (٢) واجتهد في ترقية المصانع الوطنية وألف جيشاً نظامياً عدده عشرة

(١) الكولن ص ٣٩ ويسميه ثابت (دودة) .

(٢) البواريد جمع بارودة وهي البندقية .

آلاف بين مـــــدفعية ورجالة (١) فأخذ النظام الحديث يشتد ويقوى ثم اخذت الروح المعنوية للجيش ترتفع فقـد انتظمت الامور واخذ الجند يتسلمون رواتبهم في أوقاتهم المحدودة لها .

اصلاحات داود :

ومن كان يريد ان ينشيء دولة فلابد من ان يفكر فى اصلاحها ويسبغ العدل عليها ويقرب قلوب الناس لكي يلتفوا حوله فقـد كان كما عرفنا عالما ذا فضل وادب فأخذ يتقرب الى الصوفية وارباب الطرق فدفع لزعيم الصوفية الشيخ خالد النقشبندي ثلاثين الف ليرة ذهباً عندما سمع انه مدين (٢) وقد كانت الطرق لها اهميتها وكيانها وسطوتها فأخذ المريدون يلهجون بالدعاء والثناء على داود باشا .

ثم اعتني داود بعمارة بغداد واخذ يعمر المساجد والجوامع وامر بغرس الحدائق والبساتين ومن اشهر ما بناه الجامع المعروف بالمولى خانه وكان له مئذنتان ، وجامع الحيدرخانة وجامع باب المعظم

(١) الكولن ص ٢٩ .

(٢) نيل المراد ص ٢٨٣ ومساجد بغداد والكولن ص ٢٩ .

المسمى بجامع الازبك ومسجد السيف والمسجد المحاذي للجسر من الجانب الغربي ولم يكتف بالبناء بل اخذ يجدد بعضها مثل جامع السادة في الباب الشرقي وسوق المولى خانه وسوق الحيدرخانة والخان المتصل بباب الجسر المعروف بخان داود باشا (١) ومخزن الاطعمة المعروف بالسيف ومن ذلك البستان الكائنة قرب الامام الأعظم ذات القصر الغريب الشكل ووقف بعض الاوقاف عليها (٢).

وقد اعتنى داود باشا ببعض الاصلاحات العامة فاحتفر الانهار التي عفت ودرست فزادت في مدة حكمه موارد البلاد.

العلم:

ومن ميزات داود باشا انه تفرغ وقتاً من اوقاته للعلم وخاصة انه نشأ نشأة علمية وكان يحاول ان يوطد حكمه ويستقل بولايته كما استقل محمد علي باشا في مصر، وللعلم والعلماء في الحكومة اثر كبير ولا ننسى ان داود تثقف على ايدي العلماء الكبار ومنهم صبغة الله

(١ و ٢) الكولمن ص ٢٩ ومساجد بغداد الصفحات ٢٨ و ٣٢ و ١٢٥ و ١٢٩.

الحيدري فقد اجازه في الاصوليين وتفسير البيضاوي (١) كما اجازه زين الدين جمل الليل (٢) وقد قرأ القرآن على شيخ القراء محمد امين الموصلي وقرأ النحو والصرف على الملا حسين بن محمد علي ودرس التصوف على الحافظ احمد مدرس السليمانية ودرس الرياضيات على لطف الله افندي (٣).

ولم يكتف داود بالدراسة بل انه قد اجاز بعض التلاميذ مثل اسعد افندي الحيدري (٤) ومحمد البرزنجي الذي قرأ عليه جميع العلوم (وتخرج حتى صار هذا السيد من ارباب الكمالات المشار اليهم في العراق (٥) ومحمد النائب وكان امين داود وكاتم سره وقد ارسله لمفاوضة العجم (٦) وقد كثرت المدارس في عهده حتى انها بلغت ثمانية وعشرين معهداً كبيراً للتدريس واخذ يستجلب المدرسين من انحاء البلاد وجعل فى كل معهد مدرساً خاصاً

---

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٧٣ .

(٢) المصدر السابق تجد ترجمته في ص ١٧٤ .

(٣) نفس المصدر ص ١٧٢ .

(٤) مساجد بغداد ٢٦ ومجموعة تراجم العلماء ص ١٤ .

(٥) مختصر مطالع السعود ص ١٧٥ .

(٦) مختصر مطالع السعود ص ١٤٦ .

بذلك المعهد واسكنهم وجعل لهم جرايات ليعيشوا عليها من بيت المال العراقي (١).

وقد اعتنى داود كثيراً بالمساجد ولاسيما الجامع الذي انشأه وعدد فيه المدرسين والأئمة والخدم ليؤثر من هذا الطريق في الناس وبذلك يكون المدرسون اداة للدعاية له بين الطلاب فينشرها الطلاب بين اهلهم وذويهم .

اهم المعاهد التي عني بها داود :

مدرسة داود باشا ومدرسة علي باشا والمدرسة العادلية ومدرسة الاعظمية والمدرسة الاحمدية والمدرسة السليمانية حتى بلغت عدد هذه المدارس ثماني وعشرين مدرسة ثم تعهد اثني عشر معهداً آخر بين رباط ومرقد ولي (٢) وبالاضافة الى هذه المساجد والجوامع التي كانت في الوقت عينه مدارس فقد عمر كثيراً من المساجد الاخرى كتعميره مسجد باب السيف الكائن في الكرخ وجدد مسجد رأس الجسر ووسعه بعد ان كان ضيقاً واقام فيه

(١) جريدة العرب ١٩١٧/١١/٨ .
(٢) مساجد بغداد ص ٣٦ .

المحراب الذي كان منحرفاً وعندما اشرف جامع الازبك على الانهدام تداركه وجدده ثم وسع فناءه وشاد فيه مئذنة صغيرة لازالت قائمة الى هذا اليوم وهي مطلة على شارع الرشيد، وقد نبغ في عهده مدرسون كثيرون كالسيد عبدالله الآلوسي، وعبدالرحمن الروزبهاني وتلميذ داود باشا محمد البرزنجي ومحمود الآلوسي ومحمد سعيد السويدي وعثمان بن سند (١).

استقلال داود :

ولما رأى داود تردي حالة الدولة وما عليها من ضعف وهزال فكر في الاستقلال وقد ساعده على تركيز هذه الفكرة طول مدة ولايته التي استمرت خمس عشرة سنة نعم العراق فيه بشيء من الهدوء والدعة بالنسبة للولاة الماضين.

ولم تكن الدولة العثمانية غافلة عن تصرفات داود باشا ولكنها لم تتمكن من صنع شيء فقد شط المزار وهي في حرب مع روسيا (وقد سئل داود باشا أن يعاون دولته في محاربة روسيا فأبى وأخذ

(١) تجد تراجم لهؤلاء في مطالع السعود وفي تاريخ بعض المساجد والمسلك الاذفر وغرائب الاغتراب وعنوان المجد.

يبدي مماذيره ...)(١) ولا بد من أن داود باشا الذي يعد العدة للاستقلال خشي على جيشه أن يذهب دون رجعة أو أنه خشي ان يبقى وحده دون مساند يسانده فيما إذا ذهب الجيش الذي جهزه وصرف عليه الكثير من وقته وجهده فارتاب السلطان محمود وأخذ ينظر اليه بعين كلها حذر وسخط وتمنى ان يستبدل به والياً آخر ولكنه خشي الملابسات وعدم نجاح هذه الفكرة.

تحفز السلطان:

ومما زاد في قوة السلطان المعنوية قضاؤه على الينجرية (٢) قضاء تاما وحصرهم في الاستانة وبذلك استراح من عدو قوي كان يخشى ثورته وعناده. فأصدر اوامره الى جميع الولاة بالقضاء عليهم من كل ولاية. لكن داود باشا الاريب تمكن بدهائه من انقاذهم من الموت وضمهم الى الجيش الجديد والتى تشكيلاتهم غير ان محمودا لم يرق له عمل داود وأخذ يفكر في كل الطرق للقضاء عليه وأخيراً صمم ان يقضي عليه بحد السيف.

---

(١) الكولمن ص ٢٩ و ٣٠.

(٢) شرح الالفاظ الرمية الواردة هنا تجدها في (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) بغداد ١٩٣٨.

داود وايران :

كان ملوك فارس يطمعون دائماً في الاستيلاء على العراق إذ فيه الاماكن المقدسة التي يزورها الأيرانيون كل سنة لذلك فقد كانت الحرب سجالا بين الدولة التركية والدولة الايرانية .

ولا يغربن عن البال أمر تلك الحملات التي قام بها الوهابيون على الاماكن المقدسة وانتهاب ما فيها من ذخائر نفيسة وهدم القبور والقباب التي كانت مقامة فوق اضرحة الأئمة في كربلاء كالأمام الحسين والأمام علي بن ابي طالب (١) وقد تمددت هذه الحملات مما اقلق بال الدولتين التركية التي كانت تخشى ان تقوم حكومة عربية تزاحمها فى الهيمنة على الحجاز والدولة الايرانية التي كانت تتألم لما حدث للاماكن المقدسة وكانت كرمنشاه مجمع الناقمين على الحكم في العراق وموئل اللاجئين من العراق . فوجد الفرس في التجاء العراقيين سبباً واحتجوا به وبسوء المعاملة التي كان يلاقيها الزوار الايرانيون الداخلون في العراق لزيارة الاماكن المقدسة من حكومة بغداد التركية في اعلان الحرب ضد

---

(١) يراجع غرائب الاثر ص ٣٠٣ ومطالع السعود لابن سند .

الاتراك . فتقدم الجيش الايراني حتى وصل «الخالص» وكان داود باشا قد استعد للامر واستأذن الدولة في حرب العجم فلما ابطأ على داود باشا الجواب جمع جيشه وعسكر عند سور بغداد وأخذ الجيش الايراني يتقدم نحو بغداد حتى وصل على بعد يوم واحد منها فأخذ الناس يهربون الى الحلة ، وكان داود قد جمع في خزائنه الأموال الكثيرة وحشد مخازنه بالغلال خشية ان يستولي عليها الجيش ، الايراني وفي خلال ذلك تفشت الكوليرا بالجيش الايراني وأصيب أمير الجيش فأضطر الى عقد صلح واخلى الجيش بعض الارض التركية عائد الى بلاده ولكن بقيت بعض المناطق تحت سيطرة ايران فوردت فرمانات عدة ولاة لمساعدة والي بغداد وجعله رئيساً لتلك العساكر وقد كان يساعد الجيش رئيس قبائل شمر جربا إذ أخذ في اشغال الجيش الايراني وكان ينتصر عليهم (١) بين حين وآخر .

ثم أخذ الجيش التركي يتحرك نحو خراسان ولما سمع الفرس بذلك جهزوا جيشاً كبيراً فأجبروا قائد الجيش التركي على

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٤٢ ـ ١٤٨ ولونكريك .

الانسحاب غير ان القبائل أخذت تضايق الفرس واحرقت الحاصلات في التي طريقهم ثم تفشت الكوليرا ثانية في الجيش الايراني فرجعوا دون ان يحققوا الحلم في الاستيلاء على العراق .

آخر عهد داود :

كانت علاقة داود باشا بالسلطان محمود ودية حتى انه اهداه سنة ١٢٣٦هـ خمسة عشر مدفعاً من الطراز الجديد بجميع معداتها وآلاتها وادواتها ، وارسلها صحبة احد رجاله (١) لكن نزعة داود في الاستقلال التي راودت ذهنه وعدم الالتفات الى اوامر السلطان محمود (٢) وعدم امداد الدولة بالمال (٣) اثناء الحرب الروسية والروح المعنوية العالية التي حصلت للسلطان بعد قضائه على الينجرية جعله يفكر تفكيراً جديداً في القضاء على نفوذ داود الذي يستفحل يوماً بعد يوم فأرسل السلطان صادق افندي يحمل فرماناً بعزل داود باشا من الولاية .

---

(١) مختصر مطالع السعود ص ١٤٠ .
(٢) نيل المراد في احوال العراق وبغداد ص ٢٨٠ وغاية المرام ص ٢٠٤ .
(٣) الكولمن ص ٣٠ .

ولما وصل صادق افندي بغداد خرجت قوة لاستقباله لكنه لم يعرج عليها وذهب الى دار الضيافة مباشرة . ومما زاد فى حنق صادق افندي عدم عناية داود به العناية الكافية . مما ادى الى الجدل والنزاع الكلامي فى شأن عزله وتسليمه الولاية حالا لمن يريده صادق سراً الى احد مماليك داود باشا وفاوضه على تقليد الولاية ومنحه رتبة الوزارة ولكن المملوك اسرع وهو يرتجف خوفاً وفزعاً واخبر داود باشا بجلية الخبر . اشتدت الهواجس بداود إذ ان صادق افندي لابد ان يفاوض شخصاً آخر في هذا الامر وقد يوافق ذلك الشخص ويشق البلد شقين فلا بد من انقاذ الموقف الحرج الذي وقع فيه فأشارت عليه جماعته بقتل صادق افندي وقالت له : (ما دام هذا الرجل على قيد الحياة فليس لنا في الحياة نصيب) (١) فأرسل اليه فى الليل جماعة احاطت البيت ودخل عليه مقدمهم وخنقه ولما سمع داود بموته ذهب وتأكد من ذلك بنفسه ثم كتب الى الدولة بأنه مات بالهيضة ، ولكن مثل هذا الخبر وهذه الطريقة تشيع بين الناس فعلمت بها الاستانة ولم يكن يجهل داود

---

(١) الكولمن ص ٣١-٣٢-٣٣ .

بأن عمله سوف ينكشف لذلك أراد ارسال هدية للسلطان مكونة من عدد من الخيل عساه يعفو عن زلته التي قدمها نحو الدولة بقتل موفدها (١) ولكن الدولة لم تحتمل والفرصة سانحة فأرسلت اليه والي حلب علي رضا باشا على رأس قوة كبيرة من الجيش .

ضحكة الاقدار :

كانت جيوش علي رضا باشا تتقدم نحو بغداد ومعه امر بعزل داود من ولاية بغداد وتوليته عليها وكان داود باشا يسخر من القادمين فقد اعد عدته لهذا اليوم وكان واثقاً من جيشه الذي افرغ عليه جهده وماله ودرب التدريب الكامل والمجهز بالمعدات الكافية ولكن الاقدار كانت تسخر من داود ومن تفكيره .

الطاعون :

لقد اخذ الطاعون يفتك بالناس فتكاً ذريعاً لا هوادة فيه ولا رحمة واخذت اصابات الطاعون تزداد يوماً بعد يوم كلما أزداد

---

(١) الكولمن ص ٣٥ .

على رضا باشا قربا من بغداد حتى لم يبق من يدفن الجثث التي كانت طريحة فى الطرقات والازقة (١) بعد ان عجزت المساجد عن استيعاب هذا العدد الكبير فأخذت ترمى في نهر دجلة تخلصاً من الجيف والرائحة التي كانت تملأ بغداد حتى قدر احد الكتاب (٢) عدد الموتى في اليوم الواحد بعشرة آلاف إذ لم يبق من عساكر داود وحاشيته غير ٤٦ رجلاً (٣).

الفيضان :

ولم تكن الطبيعة هذه المرة رحيمة بالعراق فقد ارعبت بغداد بالفيضان العالي واحيطت المدينة بالمياه وصعب على الناس الهروب ثم اخذت السدود تتهاوى أمام ضربات المياه المتوالية فدخلت البلدة وأخذت البيوت تتساقط على من بقى من الناس حتى قدرت البيوت المتهدمة بسبعة آلاف بيت ، وهكذا اصبحت بغداد مقبرة للاحياء الذين كانوا يأملون الفرار من الطاعون ثم اخذ البدو

---

(١) نيل المراد ص ٢٨٢ .

(٢) الشواف فى حديقة الورود ورقة ١٣ ج ١ .

(٣) الكولن ص ٣٧ .

يدخلونها . والصماليك والسراق يسرقون وينهبون ما يجدونه حتى كان بعضهم يعاجله الموت اثناء السرقة (١) .

نهاية داود باشا :

اما داود باشا فقد اضاع قواه واصبح عاجزاً عن القيام والقعود فقد استولى عليه الطاعون وهاله ان يرى احلامه الحلوة ، وامانيه العذبة تذوى بين يوم وليلة واخذ يسمع بتقدم علي رضا باشا حتى لم يبق معه من يساعده الا امرأة عجوز ويحصل طعامه من سماك كان يشفق عليه فقد اذن لجميع خدمه ان يغادروا بيته وبقى علي رضا خارج بغداد . وطلب من داود الفرار الى المنتفك (٢) لكنه ابى ، ولماذا يفر وقد ضاع اجمل آماله واحلامه فقد ركب اليأس قلبه والمرض جسمه . ومما زاد الامر بأساً احتراق السراي وقضاء النيران على كنوز داود واسلحته ومفروشاته .

محاولة فاشلة :

وقد عاد بعض المماليك الفارين من الطاعون عندما خفت وطأته

---

(١) الرافدان ص ٢٥٣ .

(٢) الكولن ص ٣٨ ولونكريك .

وانخفض الماء ومعهم بعض اعوان داود باشا لكي ينجدوا داود باشا ويمنعوا علي رضا باشا من دخول بغداد . ثم تحصنوا بالمدينة وبعثوا الى الدولة عارضين عليها عشرة آلاف جنيه نظير بقاء داود في الحكم بل اوصلوا المبلغ الى عشرين الفاً تدفع مرة واحدة وزادوا الجزية التي تدفع من بغداد الى الدولة من الف كيس الى عشرة آلاف كيس وتحملوا جميع مصاريف الحملة (١) .

ولم يكن علي رضا يريد ان يزيد في خراب المدينة التي لم يبق فيها الا قليل من العمران لانها ستكون عاصمة ملكه لذلك بقي خارج الاسوار . فأخذ البغداديون يدافعون دفاع الابطال عن بغداد حتى انهم جندوا (٥٠٠) جندي لقتال هذا الجيش اللجب الذي جاء به علي رضا وكانت المدافع تحصدهم حصداً ثم ارسل السلطان رسالة الى علي رضا يأمره فيها بأحسان التدبير فكانت الرسالة سبباً في فتح باب المفاوضة ودخول بغداد سلماً (٢) .

اما داود فدخل الضباط عليه بتواضع واحترام واخذوه معهم الى

---

(١) الكولن ص ٤٤ وما بعدها .

(٢) الكولن ص ٤٧ - ٤٩ .

خارج المدينة حيث نصبت خيمة له فنهض علي باشا من مكانه عندما كان الركب بعيداً ثم قابل داود وهو اسير حقير بالاحترام الذي لم يقابل بمثله مملوك من قبل ولو كان في اوج ابهته وعظمته ثم ارسل الى الاستانة ومعه توصية من علي رضا باشا كانت سبباً في العفو عنه. ولما قابله السلطان ولاه البوسنه الى أن جاء السلطان عبد المجيد فولاه الحرم النبوي وتوفى في المدينة (١).

المماليك الباقون :

دعا علي رضا المماليك دعوة عامة فلبوا نداءه ولما اجتمعوا عنده دبر مكيدة لهم إذ خرج الجلادون عليهم واخضبوا بدمائهم أقدامهم ولم يبق منهم باقية (٢) الا من فر وبذلك انقرضت دولة المماليك التي حكمت حوالي القرن في العراق وقضى عليهم بنفس الطريقة التي قضي بها محمد علي باشا على المماليك في مصر وأصبحت ولاية العراق تابعة مباشرة الى الاستانة فانتصرت الاستانة على اعدائها واقواهم بأساً واشدهم مراساً.

---

(١) مجموعة تراجم العلماء.

(٢) الكولمن ص ٥٠.

وثيقتان عن حياة داود باشا

وقد سمعت ان رسائل نشرت لداود باشا باللغة الجورجية فاتصلت بالاخ الزميل الدكتور حسين محفوظ الذي قضى وقتاً في روسيا واعطاني مشكوراً عنوان المستشرق الاستاذ جيورجي تسيرتيلي Giorgi Tsesrteli مدرس اللغة العربية في جامعة تفليس وعضو المجمع العلمي بجورجيا والعضو المراسل للمجمع العلمي بالاتحاد السوفياتي .

فارسل لي كراسة تحتوي على مقالة لأحد تلاميذه فيها صورتان لورقتين من هذه الرسائل وفي الكراسة شرح باللغة الجورجية . وقد ارسلت باصل الكراسة لترجمتها ولكن لم تصل الترجمة وقد امدني الاستاذ تسيرتيلي بقسم من نصوص هذه الرسائل رأيت نشرها تيسيراً للباحثين وكيلا احجز هاتين الصورتين وما فيها من معلومات عندي .

والملاحظ ان داود باشا كان يملي على كاتبه بطرس (بيطره) لانه لم يكن يجيد كتابة الجورجية وقد ارسل الرسائل الى امه (مريم) في مدينة تفليس سنة ١٨٢١ م إذ خطف قبل ان يتمكن من تعلم القراءة والكتابة ولهذا يقول (سمعنا ما كتبت) .

وقد اراد داود باشا ان يشعر امه بمكانته واخبرها بانه ملك لبابل، وذكر بابل لانها، كما يبدو، اشهر من بغداد في ذهن والدته..

وقد تضمنت الوثيقتان معلومات تبت في اصل داود باشا وانه من اسرة العبيد التي كانت تخدم اسرة نبيلة من الكرج .

وقد نجح داود باشا في مسعاه فى تحرير اسرته من رق العبودية ولم يقدر ان يرفعها الى طبقة الاشراف . .

ولهاتين الوثيقتين اهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ داود باشا الشخصي، وكل ما ارجوه ان استطيع العثور على غيرهما من الوثائق والرسائل . ففي الرسائل جانب غامض من حياة الرجل وارجو ان اضم هذه المعلومات الى (تاريخ العراق في القرن التاسع عشر)

واخيراً اشكر المستشرق تسير تيلي على مساعدته القيمة . إذ قام بالترجمة الحرفية للوثيقتين وارسالهما إلي وقد اجريت عليهما تصليحات اقتضاها الذوق العربي .





13577-b

ترجمة رسالة داود باشا الى أمه :

ملك بابل السعيدة ابنك (١) داود باشا ، يهديك وافر التحيات والامل ثم الامل فى مشاهدتك يا أمي مريم .

اما بعد فقد تسلمت رسائلك جميعها التي كتبتها إلي والمرسلات عن طريق ارضروم او على يد رجل من بيت زوبالا شويلي (٢) وسمعنا كلما كتبت والآن اكتب رسالة الى الوالي (٣) ليجعلكم من طبقة أزناؤر (٤) وارسلت يوسف (٥) بالرسائل، فاصحبوه عند

(١) يخاطب داود باشا أمه احياناً بصفة الجمع تكريماً لها واحياناً بصفة المفرد .

(٢) كان اخوان زوبالا شويلي (Zubalashvili اي ولد زوبالا) من تجار الكرج الكبار وكان اندريا زوبالا شـويلي (Andria Zubalashvili) المذكور في القسم الاخير من الرسالة قد ولد في سنة ١٧٧٠ ومات سنة ١٨٤٧ . وكان كثير السفر بين جورجيا وبغداد ، وعند وصوله بغداد كان يزور داود باشا وبوساطته كان يتعرف على اخبار اسرته .

(٣) الوالي المذكور - هو والي القفقاس الجنرال يرمولوف (Yermoloff) وقد ولد سنة ١٧٧٢ ، وتوفي في سنة ١٨٦١ .

(٤) أوزناؤر كلمة جورجية ، معناها (نبيل) ، (شريف) او (من طبقة النبلاء والاشراف).

(٥) يوسف آغا هو بيطره (Petre) المذكور في الرسائل باسم بيطره يوسفا شويلي (Petre Iosepashvili) كان كاتباً لداود باشا وكان جورجياً اصلا ، ولد في جورجيا في مدينة آخال تسيخه (Akhal tsikhe) (هو آختسيسخي حسب الوثائق التاريخية التركية) وقد ساعد داود باشا بالرسائل في حربه ضد سعيد بن سليمان الكبير وكان داود باشا يرسل بيطره الى المقيم الانكليزي (١) (J. R. Claudius)

(1) J· R. Claudiue. Narrative of a Residence in Kurdi--stan, and in the Site of Ancient Nineveh , London, 1836, vol. I, p. 49 .

تسليمه الرسائل لوالي القفقاس . وقولوا له كل ماتريدون .

أكتب الآن الى اندريا زوبالاشويلي بهذا الصدد ليساعدكم .

ارجو ألا تهملي رغبتي في مشاهدتك ، فتعالي الى هنا «بغداد» لاني أريد ان أراك ولا تفكري من جهة اخرى بشيء ، أقيمي حيثما شئت وسوف أعيدك الى الوطن بالاكرام العظيم متى شئت .

واما بعد فأهدي اخي شيو (Shio) واولاده واخوتي تحيات كثيرة ، ثم أهدي أخواتي تحيـــات كثيرة ، وأرجو ان انال الدعوات من قلبك الرحيم . الانســان يأتي الى الدنيا ويغرس الكرم لينال ثمره ، فأنتم غرستم الكرم ولم تنالوا ثمره ، وانا اطلب من أمومتك الرحيمة إن تقدري على زيارتي فلا تهمليها ، وصلي من أجلي يا أمي الرحيمة .

ابنك ملك بغداد داود باشا

في ٢ من شهر آب سنة ١٨٢١

— ٢ —

ترجمة (من اللغة الكرجية) لملاحظة داود باشا على نسخة وثيقـــة تحرير عائلته التي أرسلت له من تفليس الى بغداد .

« قـــد وصلت إلي نسخة وثيقة التحرير المصدقة بالمحكمة وانا وافقت عليها ، ولعدم معرفتي الكتابة (باللغة الجورجية) أمليت كاتبي بيطره ليكتب كلماتي » .

— ٣ —

ملاحظات الاستاذ تسير تيلي على هذه الوثائق التاريخية وعلى ترجمة حياة داود باشا .

ولد داود باشا كما يظهر من الوثائق في جورجيا في نواحي مدينة تفليس من عائلة فقيرة وكان اسم أبيـه جيورجي مانويلا شويلي (Giorgi Manvelashvili) اولاً . وبعدئذ تغيرت كنيته وصار يدعى جيورجي بوجولا شويلي (Giorgi Botsholashvili) واسم ام داود باشا مريم (Mariam) . وكانوا عبيد نبلاء الكرج الكبار أربيلياني (Orbeliani) وكان اسم داود باشـا في صغر سنه دوايت (Davit اي داود باللغة الجورجية) ، وبعدما خطفه اللصوص من جورجية ثم أخذوه الى تركيا ثم الى بغداد بيع في (سوق النخاسة)

وقد اشتراه مصطفى بك واهداه الى سليمان باشا الكبير واصبح
بعدئذ ، كما معروف ، والياً على بغداد ولكنه لم ينس وطنه أبداً
وكان يبدي اهتماماً كبيراً بأخبار وطنه وخصوصاً عائلته ، وقد
حصل من اندريا زوبالا شويلي على عنوان عائلته في جورجيا وابتدأ
المكاتبة معها من ذلك الوقت ، وكان قد مات ابوه في ذلك الوقت
وبقيت أمه مع ولديها الاكبر شيو المذكور اعلاه والاصغر
ديميطري (Dimitri) وعندما علمت مريم والدة داود باشا وعائلته
ان داود باشا قد وصل في العراق مكاناً مرموقاً اخذوا يطلبون منه
ان يساعدهم في تحريرهم من رق النبلاء اوربيلياني فأجابهم داود باشا
بالموافقة وقد ارسل الرسائل الى حكومة تفليس يطلب منها
المساعدة في تحرير عائلته ونال مراده ، وفي الكراسة التي ابعثها الى
سيادتكم صور بعض وثائق تحرير منويلا شويلي - بجويلا شويلي
يعني عائلة داود باشا من عبودية النبلاء أوربيلياني ، كما طلب
داود باشا من أمه ومن أخويه ان يحضروا الى بغداد لزيارته وكما
يبدو من ملاحظة كاتب (١) الوالي يرمولوف لمن أمه أبت ان

(١) وكان كاتبه في ذلك الوقت الشاعر الروسي المشهور ا . س . كريبويادوفف
(A , S , Griboyedoff)

تسافر الى بغداد ، ولكن سافرا اليه اخواه ورجع اخوه الاكبر شيو الى وطنه واما الاصغر ديمطري ، فقد بقي في العراق فاسلم وسمى بأحمد وقد نصبه داود باشا قائداً للقوات المسلحة وبعد مدة قصيرة جعله متسلماً (متصرفاً) في البصرة ، فقد حاول داود باشا بعد تحرير عائلته ان يجعل أزناؤر يعني ان يرفعها الى طبقة النبلاء والاشراف فكتب الى والي قفقاس الجنرال يرمولوف بهذا الصدد وبعث اليه كاتبه يوسف آغا كما يبدو من الرسالة التي ترجمتها اعلاه ويخبر أمه بذلك ويطلب منها ايضاً ان تحضر (الى بغداد) ، فيظهر من الوثائق انه خاب امله هذا ولم تنل عائلته طبقة ازناؤر ولم تسافر أمه .

هذا موجز ما تشتمل هذه الوثائق .

من المراجع

آ ـ المخطوطات

١ ـ مطالع السعود — عثمان بن سند

٢ ـ تاريخ المماليك (الكوله من) سليمان فائق تعريب نجيب الارمنازي

٣ ـ مجموعة تراجم العلماء — محمود شكري الآلوسي

٤ ـ عنوان المجد — ابراهيم فصيح الحيدري

٥ ـ غاية المرام — ياسين العمري

٦ ـ حديقة الورود — عبد الفتاح الشواف

٧ ـ نيل المراد — عباس السيد جواد البغدادي

٨ ـ العراق في القرن التاسع عشر — يوسف عز الدين

ب المطبوعات

٩ ـ أربعة قرون من تاريخ العراق — لونكرك لندن ١٩٢٥

١٠ ـ بغداد كوله من حكومتنك تشكيلنه دائر رسالة «ثابت» ١٢٩٢

١١ ـ تاريخ مساجد بغداد — محمود شكري الآلوسي وتهذيب محمد بهجة الاثري بغداد ١٣٤٦هـ

١٢ ـ الترياق الفاروقي (ديوان شعر) — عبد الباقي العمري

١٣ ـ تذكرة الشعراء — عبدالقادر الخطيبي الشهرابانى بغداد ١٩٣٦

١٤ ـ خلاصة تاريخ العراق انستاس الكرملي البصرة ١٩١٩
١٥ ـ دائرة المعارف الاسلامية (باللغة الانكليزية) مقال للدكتور عبدالعزيز الدوري عن « بغداد »
١٦ ـ دائرة المعارف الاسلامية (باللغة التركية) استانبول ١٩٥٠
١٧ ـ الرافدان تأليف لويد وترجمة طه باقر وبشير فرنسيس بغداد
١٨ ـ الشعر العراقي في القرن التاسع عشر يوسف عزالدين بغداد ١٩٥٨
١٩ ـ الشعر العراقي الحديث يوسف عزالدين بغداد ١٩٦٠
٢٠ ـ العراق ـ دراسة في تطوره السياسي آيرلند
٢١ ـ العراق بين احتلالين العزاوي
٢٢ ـ غرائب الاثر ياسين العمري نشره الدكتور محمد صديق الجليلي ، الموصل ١٩٤٠
٢٣ ـ غرائب الاغتراب ابو الثناء الآلوسي بغداد ١٣٢٧ هـ
٢٤ ـ لغة العرب (مجلة) انستاس الكرملي
٢٥ ـ مباحث عراقية يعقوب سركيس ج ١ و ٢
٢٦ ـ مختصر مطالع السعود حسن الحلواني مصر ١٣٧١هـ
٢٧ ـ المسك الاذفر محمود شكري الآلوسي بغداد ١٩٣٠

الكشاف . .

في أسماء الأعلام والأماكن والمصطلحات الحكومية

وقد اعده مشكوراً الاستاذ عبدالجبار داود البصري

من آثار المؤلف

١ ـ الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ـ الطبعة الاولى ١٩٥٨ بغداد
الطبعة الثانية ١٩٦٥ القاهرة

٢ ـ الشعر العراقي الحديث الطبعة الاولى ١٩٦٠ بغداد
الطبعة الثانية ١٩٦٥ القاهرة

٣ ـ الشعر العراقي الاجتماعي (بالانكليزية) ١٩٦٢ بغداد

٤ ـ مخطوطة شعر الاخرس (تحقيق) ١٩٦٣ بغداد

٥ ـ التيارات الادبية (مقالتان) ١٩٦٢ بغداد

٦ ـ خيري الهنداوي ـ حياته وشعره ١٩٦٥ القاهرة

٧ ـ داود باشا ونهاية المماليك في العراق ١٩٦٧ بغداد

٨ ـ في ضمير الزمن (شعر) ١٩٥٠ مصر

٩ ـ ألحان « ١٩٥٣ مصر

١٠ ـ لمحات الحياة « ١٩٦٠ بيروت

معد للطبع

١ ـ في الادب العربي الحديث مقالات وبحوث

٢ ـ التيارات الفكرية والأدب الحديث

٣ ـ العراق في القرن التاسع عشر

It is really a worthy contribution to the study of the history of Iraq during its dark ages.

Those who admired his talents as a poet, revealed through his various works, especially his " Iraqi poetry in the Nineteenth Century " and his " Social poetry in Iraq " – will now, no doubt, admire him as a talented historian who relates the facts in a romantic style that leavesa very deep impression on the reader.

In our present time, perhaps, we badly need the historian Izzedden much more than the poet Izzedden.

The Arab Nation in its struggle for life against her various enemies, who do their best to keep her backward, by concealing from the Arabs their glorious history, and by trying to make them forget their past, or at least to look on it with contempt and shame, hence our great need for an historian like Dr. Youssef Izzeddin to help us in our bitter struggle against those enemies by rewriting our history with his eloquent and sound style.

If Dr. Izzeddin really thinks of the great benefit of our Arab Nation – and I am sure that he does – then he has to pay much more attention to our Arab history, but he must not neglect writing poetry because, now and then, our spirits are hungry for his musial and emotional poems.

Dr. Youssif Izzidien

By **Saleem Taha Tikrity**

The Period in Which the Mamluks reigned in Iraq during 1760 – 1831 A. D. may be considered as one of the important periods in the history of this country during the Dark Ages which took place just after the fall of Baghdad in the hands of the Mongols in 1258 A. D.

Dawud Pasha Was the last but the greatest of all those Mamluks. Dr. Izzedien endowed us recently With a very interesting history of this personality.

In fact we know Dr. Izziddin as a Well known poet and as a great writer, but we do not know him as an historian. In his monograph on Dawud Pasha he proved to be really a very good historian. We still do not know how the history of Iraq in recent centuries attracted his attention and obliged him to pay a great deal of his care to study this period of the Mamluks and to go through the very rare manuscripts and extracts, the bare facts that reveal the Iraqi life of that period. in its different aspects perhaps, one day he will explain to us this point.

Thare is no doubt that Dr. Izzeddin, in this Mono-graph, has succeeded to a great extent in giving us a clear idea and a vivid picture of the time of Dawud Pasha and the decline of the Mamluks. His talent as a poet and writer which we all know, was neglected in this historical book which can be considered not only as historical data that includes facts, but also as a romantic story expressing the different human emotions.

DAWUD PASHA

AND THE DECLINE OF THE MAMLUK DYNASTY IN IRAQ

By

Dr. Yousif Izzidien

Pref. of Modern Arabic literatur

Al-Basri's Publieation House
Baghdad 1967